الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

العدد العاشر 10
يونيو 2021

الوظيفة النحوية التَّفسيرية للوقف القرآني

دراسَةٌ في التَّركيبِ والدّلالةِ على جُزءِ «عَمَّ»

د. دخيل بن غنيم بن حسين العواد*

dalawad@ksu.edu.sa

ملخص:

يركز البحث على أثر الوقف في أداء المعنى وتفسيره، وذلك راجعٌ إلى إقامة المعنى النَّحْويّ، بوصل أجزاء الكلام المرتبط بعضه ببعض وعدم الفصل بين أجزائه بالوقف دون تمام الكلام، حيث يكون الوقفُ على كلامٍ لا يؤدي المعنى الصّحيحَ لشدَّة تعلُّقه بما بعده لفظًا ومعنى مع عدمِ الفائدة، أو إفادة معنى غير مقصودٍ، فيذهبُ المعنى، ويذهبُ معه السِّرُّ البلاغيُّ للآية، مقتصرًا على الوقف المتعلِق بالوظيفة النّحوية دون ما عداها من المعاني الحاصلة بالوقف أو الفصل، وعلى ما يؤثر في تفسير النّص تأثيرًا مباشرًا من حيث العلاقة اللفظية والمعنوية، واقتصرت الدراسة على الجزء الأخير من القرآن الكريم، وجعلته في تمهيد وتسعة مباحث تشمل الوظائف النحوية المدروسة، وتَبيّن من البحث الأثر الكبير للوقف أو الفصل بين الجمل التي بينها ارتباطٌ لفظي ومعنوي في إيضاح المعنى وتفسيره حين الوصل، وغموضه واختلافه عن مقصود الآيات حين الفصل بالوقف.

كلمات مفتاحية: الوقف، الوصل، الفصل، الوظيفة النحوية، الدلالة.

* أستاذ النحو والصّرف المساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.

العـــدد العـاشـر 10
يـونيـــو 2021
مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

The Grammatical and Explanatory Function of *Al-Waqf in the Holy Quran*: A Syntactic and Semantic Study on Juz'u 'Amma.

Dr. Dakheel Bin Ghoneim Bin Hussein Al-Awwad *

dalawad@ksu.edu.sa

Abstract:

The study focuses on the role of *al-waqf* (pause, in English) in clarifying and interpreting the meaning of all constituents in complete uttered sentences. Such pauses occurring at some parts of speech in a whole sentence are sometimes oblique, resulting in different or unintended meanings. Some pauses are found to have a direct influence on the semantic roles interpreted by the syntactic and functional dependencies in between constituents. The case of pauses and its effect on meaning was illustrated by analyzing the last one out of 30 parts of the holy Quran. The findings showed the extent to which the pauses between the constituents influenced the intended meanings of verses, causing a sense of incompleteness and ambiguity, as opposed to the non-stops which were found to convey to the exact meanings/senses.

Keywords*: Waqf*, Pauses, Unintended Meanings, Intended Meanings.

* Assistant Professor of Arabic Language, Department of Arabic Language, College of Arts, King Saud University, Saudi Arabia

المقَدّمة:

إن لمعرفة مواضع الوقف والابتداء أثناء تلاوة القرآن أثرًا كبيرًا في فهم المعنى المراد للقارئ والسامع، وفي إظهار وجوه الإعجاز البياني، أو في إفساد المعنى وطمس وجهه البلاغي حين يكون الوقف قبيحًا فيؤدي إلى معنى غير مرادٍ، أو إلى معنى فاسدٍ، وعلى قارئ القرآن أن يكون على دراية بأمرين:

المواضع التي يحسن الوقوف عندها، وتعرف بمحلِّ الوقفِ، وكيفية الوقف عليها، وتعرف بأوجه الوقفِ وبدائله، ومعرفة هذه المواضع تؤدي إلى أداء المعنى المراد، ووضوح معناه، واستقامة مبناه، والوقوف على أسراره البلاغية والبيانية للقارئ والسَّامع.

والوقف هو قطع الصَّوت عند آخر الكلمة زمنًا ما، وله أنواعٌ وأسبابٌ ووظائفُ تتعلَّق حينًا باللفظِ وحينًا بالمعنى، مع ارتباط الاثنينِ ببعضهما ارتباطًا وثيقًا، وليس بالإمكان في مثل هذا المقام أن نقف على كلِّ ذلك ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، فهذه إشارات تناسب المقام للتنبيه على هذا الجانب المهم لقارئ القرآن ومستمعه.

وهذه دراسة تطبيقية تبين وظيفة الوقف في بيان المعنى المراد، ومردُّ ذلك إلى إقامة المعنى النَّحْويّ، وهذه الوقوف هي من الوقوف القبيحةِ حيث يكون الوقفُ على كلامٍ لا يؤدي المعنى الصّحيحَ لشدَّة تعلُّقه بما بعده لفظًا ومعنى مع عدمِ الفائدة، أو إفادة معنى غير مقصودٍ، فيذهبُ المعنى، ويذهبُ معه السِّرُّ البلاغيُّ للآية.

ولم أُدخل في هذه الدّراسة من مواضع الفصل إلا ما كان الوقف فيه مغيّرًا للمعنى والإعرابِ وإن كان الفصل داخلا في المواضع التي لا يحسن الوقف عليها، لشدّة تعلّقه بما بعده.

وتهدف هذه الدِّراسة إلى الإجابة عن هذا السُّؤال:

ما أثر الوظيفية النَّحوية في الوقف في تفسير المعنى المراد وبيانه؟ وهل للفصل بين أجزاء الكلام قبل تمام الوظيفة النّحوية أثر في المعنى وتفسيره؟

ولتحقيق هذا الهدف والإجابة عن هذا التّساؤل جعلت البحث في تمهيدٍ وتسعة مباحث تشمل الوظائف النّحوية المؤثرة في المعنى وتفسيره، وأتبعتها بخاتمة فيها نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد:

أهمية الوقف في أداء المعنى:

لقد عني العلماء على مرِّ الزّمن بالوقف؛ لأثره في المعنى، فمقصود أي كلامٍ هو المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي، يقول علي رضي الله عنه مفسِّرًا قوله تعالى: «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيْلا»: "الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"[1] ويقول النّكْزاوي[2]: "باب الوقف بابٌ عظيمُ القدر، جليل الخطر؛ لأنه لا يتأتّى لأحدٍ معرفةُ معاني القرآن، ولا استنباطُ الأدلةِ الشَّرعيةِ منه إلا بمعرفةِ الفواصلِ"[3] وذلك لما له من أثر في أداء التلاوة، ومعرفة وجوه التفسير، واستقامة المعنى، وصحة اللغة.

وسئل أبو علي الفارسي: «ما " البلاغة "؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل»[4]، قال عبد القاهر: «ذاك لغموضه ودقة مسلكه، ولا يكمل فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة»[5]، وحين يذكر الوصل والفصل في البلاغة فالمقصود منه عطف الجمل بعضها على بعض حين الوصل، أو ترك العطف حين الفصل[6]، والمقصود بهما في باب الوقف والابتداء الوقف حين الفصل، وإتمام القراءة حين الوصل.

قال معاوية: «ليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال؛ فإني شهدتُ رسول الله ﷺ أملى على علي كتابًا فكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صُرَيمته»[7].

ويميّز القارئ الفقيه من غير الفقيه بوقوفه حسب ما يقتضيه المعنى، ومعرفة الوقف التَّام مرتبطةٌ في غالبها بمعرفة العربية من نحوٍ وبلاغةٍ، وارتباط الكلامِ بعضِه ببعض من حيث الوظائف النَّحوية، فمن لم يعرف هذه المعاني النّحوية لم يستطع أن يعرف مواضع الوقف التَّام، وهذا ما أردت تطبيقه في جزء عمّ، فقد يتغير حكم الوقف نظرًا لتغيُّر الوظيفة النّحوية التي فهمها القارئ ويحتملها النَّصّ القرآني، فيتغير متعلّق الجار، أو صاحب الحال حسب المعنى الذي فسّره القارئ تبعًا للمعنى النّحوي كما سيأتي، وهذا ما يفسر لنا الاختلاف في إعراب الآيات القرآنية المتعلقة بالوقف أو الابتداء.

والوقف هو: «قطع الصوت على الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله»[8]، والسكت: «قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس»[9].

واختلف العلماء في الوقوف على رؤوس الآيات وإن تعلّق أول الآية بما قبلها، ومنشأ خلافهم حديثُ أم سلمةَ رضي الله عنها: «كان يقطع قراءته آيةً آيةً ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:1] ثم يقفُ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:2] ثم يقف»[10] ودلّ الحديث على الوقوف على رؤوس الآيات، «وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف»[11] والحديث كما أرى محمولٌ على عدم تعلّق أول الآية بما قبلها لفظًا ومعنى؛ لأن الغرض هو إقامة المعنى وتدبر المقاصدِ، ولا يتحقّق ذلك غالبًا إلا بوصل الكلام بعضه ببعض، خصوصًا عند من لا يدرك اتّصال الألفاظ ببعضها من جهة النّحو، فكم من قارئ خفي عليه معنى الآية بسبب الفصل، وقد جربتُ ذلك على أساتذة في الجامعة فلم يدركوا المعنى إلا بالوصل، بعد إفهامهم ارتباط الآية بما قبلها من حيث الإعراب، ولذلك منع العلماء الوقوف على ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ [الماعون:4] بفصل الموصوف عن صفته: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:5] يقول أبو عمر الداني: «ومن هذا النوع من القبح أيضًا الوقف على

الأسماء التي تبين نعوتها حقوقها، نحو قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ [الماعون:4] وشبهه، لأن «المصلين» اسم ممدوح محمود لا يليق به «ويل»، وإنما خرج من جملة الممدوحين بنعته المتصل به وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون:5] »[12] مع أنّها رأس آية، وبالجملة فالوقف عند علماء القراءات على أنواعٍ أربعةٍ[13]:

- الوقف التّام، وذلك إذا أدى الوقف معنى صحيحًا، لا يتعلّق بما بعده لفظًا ولا معنى.
- الوقف الكافي، وذلك إذا أدى الوقف معنى صحيحًا وتعلّق الكلامُ بما بعده معنى لا لفظًا.
- الوقف الحسن، وذلك إذا أدى الوقف معنى صحيحًا وتعلّق الكلامُ بما بعده لفظًا ومعنى من غير إحالة معنىً أو استغلاقه، فيوقف عليه، ولا يبتدأ بما بعده للتّعلّق اللفظي.
- الوقف القبيح أو غير الحسن، حين لا يؤدي الوقف معنى، أو يؤدي إلى فساد المعنى، كالفصل بين المتلازمين نحويًا مما لا يفهم معناه إلا بما بعده[14]، كالوقف على العامل دون المعمولِ، أو على صاحب الحال دون الحال، أو على الشرط وفعله دون الجوابِ، أو على المبتدأ دون الخبر، أو على التّوكيد دون المؤكّد، أو على الموصوف دون الصفة، أو على المعلول دون العلة، أو على المقسم به دون جواب القسم، أو على المستثنى منه دون المستثنى، أو على المعطوف عليه دون المعطوفِ حين يشكّل المتعاطفان وحدةً واحدة، ومردّ كل ذلك وضوح المعنى وصحته، فقد لا يكون قبيحًا أو غير حسن مع هذا التلازم لوضوح المعنى وسلامته.

وهذا النّوع الأخير من الوقوف هو مدار هذا البحث؛ لانقطاع العلاقة بين أجزاء الكلام من حيث الوظيفة النحوية، وتتمثل العلاقة بين أجزاء الكلام في:

- العلاقة المعنوية واللفظية.
- العلاقة المعنوية دون اللفظية.

- علاقة لفظية ومعنوية في قطعها إفادة معنى مقصود غير مخل.

وقد اقتصر البحثُ على العلاقة اللفظية والمعنوية، أي العلاقة في الوظائف النّحوية العشر السّابقة، سواء أكان ذلك على رؤوس الآي أم في وسطها وإن سماه علماء الوقف حسنًا للحديث المذكور، وقد يكون القارئ عارفًا بذلك التلازم فيقف على رؤوس بعض الآيات المتلازمة لفظًا ومعنىً من غير أن يبتدئ بما بعدها، وذلك لتشويق السامع إلى معرفة الخبر أو الصفة أو المقسم عليه وغيرها من الوظائف النحوية، أو لمفاجأة السامع، ولذلك بحثٌ في البلاغة والبيان.

وهناك تفاوت في الوقوف حسب الارتباط المعنوي واللفظي، فأحيانًا يكون المعنى كاملًا في الآية الأولى، وتأتي الآية بعدها لتتمة المعنى، والوقف حينئذٍ لا يخل بالمعنى كالمعطوفات والصفات ونحوها، ولكن الابتداء باسم معطوف أو صفة أخرى لا يحسن دون ما قبله.

وأحيانًا يكون الوقوف في الآية الأولى قبل تمام المعنى كما في الشّرط والقسم والمبتدأ دون خبره... ففي هذه المواضع يكون الوقوف دون تمام المعنى غير حسنٍ.

المبحث الأول: الفَصْل بين العامل ومعموله

العامل مرتبط بمعموله ارتباطا لفظيا ومعنويا فيقبح الفَصْل بينهما، كالفعل والفاعل، والفعل ومفعوله ونحوهما، فالفاعل منزل من الفعل منزلة الجزء[15]، فهما كالشيء الواحد.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق :9-10] فـ«عبدًا» مفعول به للفعل ينهى، وهو تمام المعنى والوقف قبله والابتداء بـ«عبدًا» مخل بالمعنى، بعكس الوصل الذي يفسره ويوضحه.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد:14، 15] فـ«يتيما» مفعولٌ به للمصدر «إطعام» ويقبح الوقف قبله؛ لأنه تمام المعنى.

ومنه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥﴾ [النبأ:24، 25] فـ جزاءً: مفعول مطلقٌ، «دلّ على فعله ما قبله»[16] أي أن جزاءهم موافقٌ لأعمالهم، فما قبل المصدر دالٌّ عليه، والمفعول المطلق مفسر لذلك الجزاء بأنه موافق لما اقترفوه في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ [التكوير: 8، 9] الجار والمجرور «بأيّ» متعلقان بـ«قتلت» والجملة سدّت مسدّ مفعول سُئِلت، فهي متَّصلةٌ بما قبلها لفظًا ومعنى فلا يوقف على سئلت لئلا يفصل بين الفعل ومعموله، «وتوجيه السؤال لها لتسليتها، وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها، وإسقاطه عن درجة الخطاب، والمبالغة في تبكيته»[17].

ومنه: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين:35،36] جملة «هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ» في محل نصب مفعول به للفعل «يَنْظُرُونَ»[18]، فهم جالسون على الأرائك ينظرون هل جوزي الكفار على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا من السخرية بالمؤمنين؟

ومنه: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾[الزلزلة:4،5] «يومئذ» منصوبٌ بالفعل «إذا زلزلت» في الآية الأولى، ومتعلقٌ به، ولا يفصل بين العامل ومعموله، أي: إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة حينئذٍ تنبئ أخبارها بإخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها[19].

ومنه: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾ [الشمس:11، 12]«إذ» ظرفٌ لما مضى من الزّمان في محل نصب بالفعل «كذبت»[20] في الآية التي قبلها، ولا يفصل بين العامل ومعموله.

ومنه: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر:1،2] «حتى» حرف غاية للفعل «ألهاكم»[21] في الآية التي قبلها، أي: ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن زرتم المقابر، وقرئت «آلهاكم» بالمد على الاستفهام[22].

المبحث الثاني: الفَصْل بين القسمِ وجوابه

يكثر في جزء «عَمّ» القسمُ، وأركان القسم هي: أداة القسم، والمقسم به، وجواب القسم، أو المقسم عليه، ولا يفصل بين القسم والمقسم عليه، وهو يشبه الشرط والجزاء، فارتباط القسم بجوابه، كارتباط الشرط بجزائه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر:1،2] فالقسم: «وَالْعَصْرِ» وجواب القسم هو ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ..﴾ ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ فجواب القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ..﴾ ولا ينبغي الوقف قبل جواب القسم؛ لأن جواب القسم هو تمام المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩﴾ [التكوير:15-19] «لا» صلةٌ، والخُنَّس مقسم به، وما بعده معطوفٌ عليه، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ فلا يفصل بين القسمِ وجوابه لأنهما بمنزلة الكلمة الواحدة. وهو تمامُ الكلام، وتفسيره وتوضيحه.

ومنه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق:16] قسمٌ، وجوابه: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾ [الانشقاق:19] ولا يوقف على المقسم به وهو الشّفق دون ورود المقسم عليه، والشّفق هو حمرة غياب الشمس بين المغرب والعشاء[23]، وطبقًا عن طبق، أي حالًا بعد حال.

ومنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج:1] قسمٌ وكذا ما عطف عليه، وجواب القسم: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾ [البروج:4] وحذفت اللام من جواب القسم لطول الكلام قبل جواب القسم، والمعنى -والله أعلم-: «قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج»[24] وقيل جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطۡشَ

رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج:12] [25]، وقيل إن جواب القسم محذوف يدل عليه المذكور، يقول الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: جواب القسم في ذلك متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته»[26].

ومنه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ [الطارق:1] وما عطف عليه قسمٌ، وجوابه: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [الطارق:4] و«لما» هنا على معنى «إلا» وقيل «ما» صلة، أي: إن كل نفس لعليها حافظ[27].

ومثله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾﴾ [الطارق:11] الآية وما عطف عليها قسمٌ، وجوابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ [الطارق:13].

ومنه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [البلد:1] قسمٌ، وجواب القسم ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد:4].

ومثله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾﴾ [الليل:1]قسمٌ، وجواب القسم ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ [الليل:4].

ومنه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى:1-3] جواب القسم ما ودعك ربك، ولا يوقف على القسم دون جوابه.

ومنه: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين:1] قسم وما عطف عليه، وجوابه ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين:4]، ومنه: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾﴾ [العاديات:1] وما عطف عليها قسم وجوابه ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾﴾ [العاديات:6].

المبحث الثالث: الفَصْل بين المبتدأ والخبر

الخبر هو الجزء المتم للمعنى الذي ابتدأ بالمبتدأ، ولا يتم المعنى إلا به، فإذا جاء المبتدأ فلا بد من الخبر، ولا يوقف على المبتدأ دون الخبر، وفيما يلي ما ورد من الآيات التي كان المبتدأ في آية والخبر في آية أخرى:

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩﴾ [النازعات:8،9] فـ« قُلُوبٌ » مبتدأٌ، و« وَاجِفَةٌ » صفةٌ لقلوب، و« أَبْصَارُهَا» مبتدأ ثانٍ، و«خاشعة» خبرٌ للمبتدأ الثّاني، والجملةُ في محلّ رفع خبر لـ«قُلُوبٌ»[28] وعليه فلا يوقف على واجفة قبل تمام الخبر، لئلا يفصل بين المبتدأ وخبره الجملة، فالخبر هو تمام المعنى.

وقيل: قلوبٌ: مبتدأ، وواجفة خبره، وأبصارها مبتدأ، وخاشعة خبره[29]، وعليه فيوقف على واجفة، وجاز الابتداء بـ«قلوب» مع أنها نكرةٌ؛ لأنها خصّصت بالوصف بـ«واجفة» على القولِ الأول، وبـ«حينئذٍ» على القول الثّاني[30]، كقوله تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة:221].

ومنه: ﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين:20، 21]« كِتَٰبٌ » خبر لمبتدأ محذوف أي: هو كتابٌ، ومرقومٌ صفة، وجملة «يشهده...» في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ المقدّر، ولا يفصل بين المبتدأ وخبره؛ لأن الخبر تمام الكلام، ومكمن الفائدة فيه، وهذا على قولٍ، وقيل: إن الجملة في محل رفع صفةٍ، وعلى القولين فلا يفصل بينهما.

ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ [المطففين: 22، 23] جملة «يَنْظُرُونَ» في محل رفع خبر ثانٍ لـ«إن» في الآية التي قبلها، والجار والمجرور «على الأرائك» متعلق بـ«ينظرون».

ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية: 2، 3] فـ«خاشعة» و«عاملة» و«ناصبة» أخبار عن المبتدأ في الآية التي قبلها «وجوه» وصح الابتداء به مع أنه نكرة للتفصيل[31] ولا يفصل بينها وبين المبتدأ بالوقف على خاشعة دون بقية الأخبار، فهي خاشعة ذليلة في الآخرة، عاملة ناصبة في الدنيا[32]، وقيل خبران لمبتدأ محذوفٍ أي هي عاملة ناصبة[33]، وقيل إن الخبر هو: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾[34].

ومثله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ [الغاشية: 8، 9] «لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ» الجملة في محل رفعِ خبر ثانٍ لوجوه في الآية قبلها، ولا يفصل بين المبتدأ وخبره.

ومنه: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤﴾ [الغاشية: 23، 24] الاستثناء هنا منقطعٌ وهو بمعنى الاستدراك، و «من» اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة «فيعذبه..» في محل رفع خبر والتقدير -والله أعلم-: لكنْ من تولى وكفر يعذبه الله... ودخلت الفاء لشبه الاسم الموصول في عمومه باسم الشرط[35].

ومنه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ۝٢٠﴾ [البلد: 19، 20]جملة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ في محل رفع خبر ثانٍ لـ « أُوْلَـٰٓئِكَ »[البلد:18] في الآية التي قبلها، ولا يفصل بين المبتدأ وخبره؛ لأنه من تمام معناه.

ومنه: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾[القارعة:1، 2] «القارعة» مبتدأ، و «ما» مبتدأ ثانٍ، و«القارعة» خبرٌ للمبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر للقارعة في الآية الأولى[36]، ولا يفصل بين المبتدأ وخبره.

المبحث الرابع: الفَصْل بين الشرط وجزائه

الشّرط مكون من أداة الشّرط، وفعل الشّرط الذي إذا تحقق تحقق معه الجواب الذي هو تمام المعنى، ولا يفصل بالوقف قبل تمام جملة الشرط وهو الجواب أو الجزاء، فالجزاء متعلق لفظًا ومعنى بأداة الشرط وفعله.

ومنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧﴾ [النازعات: 34-37] «إذا» اسم شرط، وجواب الشّرطِ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ وما

بعده، والتقدير: فإذا جاءت الطّامة الكبرى كانت أحوال الطغاة كذا، وكانت أحوال المطيعين كذا، أو فكان الأمر كما ذكر. وقيل: الجواب مضمر والتقدير: فإذا جاءت الطامة الكبرى عرفوا سوء عاقبتهم، أو عرف كل واحد من الفريقين ما يستحقه[37] وعليه فلا ينبغي الفصل بين الشَّرط وجوابه، لتعلُّقه به فهو من تمامِ معناه.

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: 34،33]والجواب معنى قوله تعالى: «يوم يفر» أي فحينئذٍ يفر المرء من أخية، أو اشتغل كل إنسانٍ بنفسه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: 37] فـ«تجيء الصَّاخَّة في هذا اليومِ الَّذي يهربُ فيه من أخيه»[38].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾﴾ [التكوير:1] «إذا» شرطٌ، وكذا ما عطف عليه، والجواب قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير:14] «أي إذا كانت هذه الأشياء التي هي في يوم القيامة، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أَحْضَرَتْ، أَي مِنْ عَمَل، فأثيبت عَلَى قَدْرِ عَمَلِها»[39] فينبغي وصل آخر جملة من جمل الشرط بجواب الشّرط ليتضح المعنى، ويربط الجواب بشرطه، بل كان «ابنُ مجاهدٍ إِذَا قَرأها فِيْ الصَّلاةِ قرأها بَنَفَسٍ واحدٍ من أولها ووقف على: «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ»[40]. [التكوير:14].

ويشبه جواب الشرط جواب «أمّا» فلا يفصل بينها وبين جوابها كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس:5، 6]فـ«أمَّا» حرف تفصيل فيها معنى الجزاءِ ولذلك كانت الفاء لازمةً بعدها[41].

ومنه: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق:10، 11] وجواب «أما» «فسوف..» وجوابها مرتبطٌ بها ارتباط جواب الشّرط بالشّرط، فلا يوقف على الشرط دون الجزاء إذ لا يتمّ المعنى إلا به.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ [عبس:8- 10]فجواب «أمَّا» ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ ولا يوقف دونه؛ لأنه يوضح المعنى ويفسره.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨﴾ [الانشقاق:7، 8]جواب «أمَّا» قوله تعالى: « فَسَوۡفَ» ولا يفصل بين «أمّا» وجوابها.

ومنه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾[الانشقاق:1، 2] اختلفوا في جواب «إذا» فقيل: هو ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي: إذا السّماء انشقت أذنت لربها، أي: سمعت وأطاعت، ومنه قول الشاعر[42]:

صمّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

ولم يرتضِ الفراء هذا، قال: «وقال بعض المفسرين: جواب «إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ» قوله: « وَأَذِنَتۡ» ونرى أَنَّهُ رَأَي ارتآه المفسر، وشبهه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر:73] لأنا لم نَسْمَع جوابًا بالواو فِي «إذ» مبتدأة، ولا قبلها كلام، ولا فِي «إذا» إِذَا ابتُدئت، وإنما تجيب العرب بالواو فِي قوله: حتَّى إِذَا كَانَ، و«فلما أن كان» لم يجاوزوا ذلك..»[43] وقال المبرد: «وَهُوَ أبعد الْأَقَاوِيل»[44] والذي يراه الفراء وغيره أنّه مقدّر، أي فيومئذ يلاقي حسابه، أو ترى الثواب والعقاب، وحذف لعلم المخاطب به ولتعظيم أمره، وذكر بعضهم أنّه على التّقديم والتأخير، أي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشقاق:6] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[45].

ومنه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [الانفطار:1] وما بعدها شرطٌ، والجواب: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾[الانفطار:5] ولا يوقف قبل جوابِ «إذا» فهو تمام المعنى وتفسير له.

ومنه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل:5] وما عطف عليه شرطٌ، والجواب: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:7].

ومثله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة:1] وما عطف عليها شرط، وجوابه ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:4].

ومنه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ [القارعة:6] شرط، وجوابه ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:7].

ومنه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:1] وما عطف عليه شرط، والجواب: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:3].

المبحث الخامس: الفَصْلُ بَيْنَ التَّابِعِ والمتْبُوعِ

أَوَّلًا: الفَصْل بين الصِّفة والموصوف

الصفة مرتبطة لفظا ومعنى بالموصوف وكذا بقية التوابع، فلا ينبغي الفَصْل بين الصفة وموصوفها؛ لأن الصفة تتمة للموصوف، على أن المعنى قد يتضح بدون الصفة أو لا يلتبس بغيره، فلم أذكر من الصفات إلا ما يتعلق به تفسير المعنى، أو كان الفصل بين الصفة والموصوف مخلًا بالمعنى، أو يؤدي إلى غموضه ولو نسبيًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: 2، 3] فالاسم الموصول «الذي» في محل جر صفة لـ«النبأ» فلا يفصلُ بينهما.

ومنه: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: 4، 5] فالاسم الموصول في محل جر صفة للمصلين، ولا ينبغي الابتداء به مفصولا عن موصوفه؛ لارتباطه به، والوقف على المصلين يفسد المعنى المقصود ويؤدي إلى معنى غير صحيح.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [الليل17، 18] فالاسم الموصول «الذي» في محل رفع صفة للأتقى.

ومنه: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس:4، 5] الاسم الموصول «الذي» في محل جر صفة للوسواس فلا يقف القارئ قبل الصّفة لئلا يفصل بين الصفة والموصوف، و«يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الْخَنَّاسِ ويبتدئ الَّذِي يُوَسْوِسُ على أحد هذين الوجهين»[46].

ومنه: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤﴾ [عبس:13، 14] "مرفوعة" صفةٌ أخرى لـ"صحف" فلا يوقف على مكرمة، ويُبتدأ بـ«مرفوعة» لأنها صفةٌ ثانية مجرورة لأن الموصوف مجرور.

ومثلها: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةِۭ ۝١٦﴾ [عبس:15، 16] فـ"كرام" صفةٌ لـ"سفرة" مجرورة.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠﴾ [التكوير:19، 20] فـ«ذي» صفة لرسول في الآية قبلها، فلا يفصل بين الصفة والموصوف ويبتدأ بمجرور، ومثله الآية التي بعدها ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ [التكوير:21] صفةٌ أخرى.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار:6، 7] فالاسم الموصول «الذي» في محل جر صفة لـ«ربك» ولا يوقف على الموصوف قبل صفته.

ومنه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار:10، 11] «كرامًا» صفةٌ منصوبةٌ لاسم إنّ المؤخر «حَافِظِينَ» ولا يفصل بين الصفة والموصوف.

ومثلها الآية بعدها: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ فالجملة في محل نصب صفةٌ أخرى للحافظين، ولا يوقف قبل تمام الصّفة.

ومنه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [المطففين:1، 2] فالاسم الموصول «الذي» في محل جرّ صفة للمطففين، وبيان من هم، وما أعمالهم، ولا يوقف على الموصوف دون صفته.

ومنه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ الاسم الموصولُ «الذين» في محل جر صفة «لِلْمُكَذِّبِينَ» ولا يفصل بين الموصوف وصفته؛ لأن في الصفة تمامَ الكلام وتوضيح له وتفسير، فالمكذبون المتوعدون بالويل في جهنم هم الذين يكذبون بيوم البعث والنشور وهو يوم القيامة.

ومنه: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [البروج:8، 9] الاسم الموصول «الذي» في محل جر صفة لـ«الله» في الآية التي قبلها، أي ليس لهم من ذنبٍ إلا إيمانهم بالله الذي له ملك السموات والأرض.

ومنه: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ [الأعلى:11، 12] الاسم الموصول «الذي» في محل رفع صفة لـ«الأشقى» في الآية التي قبلها، ولا يفصل بينهما.

ومثله: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾[الفجر:7، 8] الاسم الموصول «الَّتِي» في محل جر صفة لـ«إرم» في الآية التي قبلها.

ومنه: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾ [الليل:15، 16] الاسم الموصول «الذي» في محل رفع صفة لـ «الْأَشْقَى» ولو ابتدأ بالاسم الموصول دون الموصوف لالتبس المعنى بالفصل بين الصفة والموصوف.

ومنه: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣﴾ [الشرح:2، 3] الاسم الموصول في محل نصب صفة لـ «وِزْرَكَ» في الآية التي قبلها ولا يفصل بين الصفة والموصوف، والوزر الشدة أو الذنب الذي أثقل ظهرك[47].

ثانيًا: الفَصْل بين البَدَلِ والمبْدَلِ مِنْهُ

ومثل الصِّفة البدل لارتباطه لفظا ومعنى بالمبدل منه، فلا يفصل بينهما؛ لأن البدل بيانٌ للمبدل منه وتفسير له، كما في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥﴾ [عبس:24، 25] فالمصدر المؤول من «أنّ» وما بعدها في محلّ جر بدل من طعامه بدلَ اشتمال؛ فهو بيانٌ له وتفسير لهذا الطّعام وكيف جاء؛ لأن انشقاق الأرض وانصباب الماء سبب حدوث الطّعام، والفَصْل بينهما يذهب المعنى، وأمَّا على قراءة كسر همزة «إنّ» فيوقف على طعامه، والجملة بعدها مستأنفة لتفسير الطّعام.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢﴾[النبأ:31-32] فـ«حدائق» بدل من «مفازا» وتفسير له.

ومنه قوله تعالى: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ [النبأ: 36، 37] فـ"ربِّ" بدل من "ربك" المسبوقِ بحرف جرٍّ فلا يسوغُ البدءُ به مجرورًا لارتباطه بما قبله لفظًا ومعنى.

ومنه: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾[النبأ:17، 18] «يَوْمَ» الثانية بدلٌ من يوم الأولى[48]، وهي بيانٌ وتوضيحٌ له بأنه اليوم الذي ينفخ فيه الصور، ولا يفصل بين البدل والمبدل منه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾[النازعات: 34، 35] فـ «يَومَ » بدلٌ من «إذا» فلا يفصل بين البدل والمبدل منه؛ لأن البدلَ توضيحٌ للمبدلِ منه وبيانٌ له.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾[النبأ:17، 18] «يوم» الثانية بدلٌ من يوم الفصلِ قبلها، ولا يفصل بين البدل والمبدل منه لأن البدل توضيح ليوم الفصل بين العبادِ وهو اليوم الذي ينفخ فيه في الصور إيذانًا بخروج الناس من قبورهم للفصل بينهم.

ومنه: ﴿لِيَوۡمٖ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[المطففين:5، 6] فـ «يَوْمَ» بدلٌ من محل يوم التي قبلها، وتفسير وبيان لذلك اليوم العظيم، والعامل فيه الوصف المشتق «مبعوثون»[49] «فكأنه قال: ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس، وقد يجوز نصبه وهو بمعنى الخفض، لأنها إضافة غير محضة، ولو خفض ردّا على اليوم الأوّل لم يكن لحنا»[50] ولا يقرأ به؛ «لأن القراءة سنة، ولا يجوز أن تخالَف بما يجوز في العربية»[51].

ومنه: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥﴾[البروج:4، 5] «النار» بدل اشتمال من الأخدود[52] لأنه مشتملٌ على النار مجرور، والعائد على البدل محذوفٌ تقديره النار فيه ذات الوقود، ولا يوقف على المبدل منه قبل البدل؛ لأنه توضيحٌ له وتفسير، والأخدود شقّ في الأرض وجعلوا فيه النيران لإحراق المؤمنين[53].

ومنه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾[البروج:17، 18] «فرعون» بدلٌ من الجنود مجرور بالفتحة، والبدل بيان وتفسير للجنود: من هم؟.

ومنه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾[التكوير:27، 28] «مَنْ شاء» بدل من «العالمين»[54] بدل بعض من كل، وكرر حرف الجر في البدل والمبدل منه، والمعنى: الطريق واضحة للعالمين من شاء منهم أخذ بالطريق الحق.

ومنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾[الأعلى:18، 19] فصحف إبراهيم بدل من الصحف في الآية قبلها ولا يفصل بالوقف بين البدل والمبدل منه؛ لأن البدل توضيح للصحف الأولى بأنها صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

ومنه: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧﴾[الفجر:6، 7] «إِرَمَ» بدلٌ من «عاد»، وإرم قبيلة عاد وهو اسم جدهم، وقيل إرم مدينة عاد.

ومثله: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢﴾[الهمزة:1، 2] الاسم الموصول «الَّذِي» في محل جر بدل من «هُمَزة» والبدل توضيح وتفسير للمبدل وزيادة بيان له، والهُمزة اللُّمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم[55].

ومنه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾[العلق:1، 2] «خلق» الثانية بدل من الأولى، فـ«الذي خلق مبهم ثم فسره بقوله: خلق الإنسان تفخيمًا لخلق الإنسان ودليلًا على عجيب فطرته»[56].

ومنه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾[قريش:1، 2] «إيلافهم» الثانية بدلٌ من «إيلاف» الأولى في الآية التي قبلها، وبيان لذلك الإيلاف، أي: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف.

ومنه: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦﴾[العلق:15، 16] ناصية بدل من الناصية في الآية التي قبلها، وهي توضيح وتفسير لها، أي لنأخذن بناصيته الكاذبة قولًا، الخاطئة فعلًا، وجاز إبدال النكرة من المعرفة لأنها وصفت.

ومنه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش:3، 4] الاسم الموصول «الذي» في محل نصب بدل من «رب» في الآية التي قبلها، وفيه بيان امتنان الله عليهم بإطعامهم من الجوع وتأمين خوفهم، فهو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

ثالثًا: الفَصْل بين المَعْطُوفِ والمَعْطُوفِ عَلَيهِ

حروف العطف «تدخل الثاني في إعراب لفظ الأول ومعناه»[57] ولم أذكر في هذا الموضع كل معطوفٍ، بل ما كان مفسّرًا وموضحًا لما قبله، أو أن يكون ابتداء الآية الأخرى بمجرور أو منصوب فلا يبتدأ به دون ما عطف عليه.

ومنه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[النبأ:6، 7] فالجبال معطوف على المفعول به الأرض داخل في معناه، ومثله: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾[النبأ:15، 16] ومثله: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾[النبأ:32، 33] وقوله تعالى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ [النبأ: 33، 34].

ومنه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات:13، 14] فالزجرة الصّيحة وهي النّفخة الثّانيةُ، والسّاهرة الأرض المستوية، وعليه فلا يفصل بين الزّجرة وخروجهم على وجه الأرض لترتُّب الثّاني على الأول وأثره في بيان المعنى، فهو معطوفٌ عليه بالفاء التي تفيد الترتيب بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه.

ومنه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾[النازعات: 27، 28] الوقفُ هنا على قوله تعالى: «أَمِ ٱلسَّمَآءُ» لأنّ «أَمْ» المعادلةَ لا يقع بعدها إلا مفردٌ، وليتضح معنى الاستفهام

التّقريريّ، وجملةُ «بَنَيْنَاهَا» يجوزُ أن تكونَ مستأنفةً استئنافًا بيانيًا لبيان شدّةِ خلقِ السّماءِ، ويجوز أن تكونَ بدلَ اشتمالٍ من السّماءِ.

وإن جُعلت جملة ﴿بناها﴾ صفةً على تقدير حذف الاسم الموصول وبقاء صلته والتقدير: التي بناها[58] كان الوقف على بناها هو تمام المعنى، لئلا يفصل بين الصفة والموصوف، يقول الفراء: «ثُمَّ وصف صفة السماء، فَقَالَ: بناها»[59]، ومنه قول عدي بن زيد[60]:

زانهن الشَّفُوفُ، يَنْضَخْنَ بالمسْـ ـكِ، وعَيْشٌ مُفَانِقٌ، وَحَرِيرُ

«أراد: اللواتي زانهن الشفوف، فأضمر. كما قال الله عز وجل: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ أراد: التي بناها»[61].

واعترِض على حذف الموصول وبقاء صلته، قال القفالُ: «يقال: الرجل جاءك عاقل، أي: الرجل الذي جاءك عاقل، وإذا ثبت جواز ذلك في اللغة، فنقول: الدَّليل على أن قوله تعالى: ﴿بَنَاهَا﴾ صلةٌ لما قبله، أنَّه لو لم يكن صلة لكان صفة، فقوله: ﴿بَنَاهَا﴾ صفة، ثم قوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ صفة، فقد توالت صفتان، لا تعلُّق لإحداهما بالأخرى، فكان يجب إدخال العاطف بينهما، كما في قوله: ﴿وأغطَشَ ليْلَهَا﴾ ولما لم يكن كذلك، علمنا أنَّ قوله: ﴿بَنَاهَا﴾ صلةٌ للسَّماءِ، فكان التقدير: أم السَّماء التي بناهَا، وهذا يقتضي وجود سماءٍ ما بَنَاهَا اللهُ، وذلك باطل»[62].

المبحث السّادس: الفَصْل بين الحَالِ وصَاحِبِهَا

الحال وصفٌ لصاحبها، مرتبطةٌ به ارتباط الصفة بالموصوف، فلا يفصل بينهما لأنه من تمام معناه، ولا تفهم إلا به.

ومنه: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ [النبأ:22، 23] «لابثين» حالٌ من «الطاغين»[63] أو من الضمير فيه[64]، ولا يفصل بين الحال وصاحبها.

ومنه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤﴾ جملة «لَا يَذُوقُونَ» في محل نصب حال من الضمير المستتر في اسم الفاعل «لابثين»[65] ولا يفصل بين الحال وصاحبها.

ومنه: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾ [النازعات:6، 7] فجملة "تَتْبَعُهَا" في محل نصبٍ على الحالِ من الراجفة، وفصل الحال عن صاحبها يفسد المعنى والإعرابَ.

ومن الفصل بين الحال وصاحبها الوجه الآخر في إعراب قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ فجملة ﴿بَنَاهَا﴾ في محل نصب حال من المحذوف، والتقدير: أم السَّماءُ أشَدُّ بناها[66]، ولا يفصل بين الحال وصاحبها المقدَّر في أشدّ المحذوف؛ لما بينهما من الارتباط اللفظي والمعنوي.

واعْتُرِض على إعراب ﴿بناهَا﴾ حالًا بأنه «لا يحسن أن يكون حالًا أيضًا كما زعم بعضهم لعدم الفائدة من جهة المعنى عند من تأمل، فهو مستأنف ليس إلا، كأنه قيل: كيف خلقها؛ فقيل: كيت وكيت»[67].

ومنه: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾[الانفطار:10-12] فجملة «يَعْلَمُونَ» في محل نصب على الحال من «حافظين» على رأي، وسبق إعرابها صفةً، وعلى القولين لا يفصل بين الحال وصاحبها، ولا يوقف على الموصوف قبل صفته.

ومنه: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾[الانفطار:14، 15] فجملة «يَصْلَوْنَهَا» في محل نصبٍ حال من «الفجار» ولا يوقف على صاحب الحال دون الحال.

ومنه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾ [المطففين:34، 35] الجار والمجرور ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ في محل نصب حال من فاعل «يضحكون» في الآية التي قبلها، أي: «يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر»[68].

ومنه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد: 1، 2] الواو للحال والجملة في محل نصب حال[69] أي: لا أقسم به وأنت حل فيه، والبلد هو مكة -حرسها الله-.

ومنه: ﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: 2، 3] جملة «يحسب..» في محل نصب حال من فاعل جمع[70]، أي: جمع ماله ظانا أنه سيخلده في الدنيا، والمعنى: «يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يَمُوتَ»[71].

المبحث السابع: الفَصْل بين التَّعليل والمعلَّل

التعليل مرتبط ارتباطا معنويا بما قبله، فالعلة سبب لما قبلها فلا ينبغي الفَصْل بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝١٥﴾[النبأ:14، 15] فقوله تعالى: «لِّنُخۡرِجَ» تعليل لإنزال الماء فلا ينبغي الفَصْل بينهما.

ومنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: 1، 2] فقوله تعالى: ﴿ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ في محل نصبٍ مفعول له، أي: «لأن جاءَه الأعمى»[72] فالمفعول له تعليلٌ لحدوث الفعل السابقِ عليه وتفسيرٌ له ومنصوبٌ به، يقول سيبويه رحمه الله: «هذا باب: ما ينتصب من المصادر لأنَّه عذرٌ لوقوعِ الأمرِ فانتصبَ لأنَّه مَوقوعٌ له، ولأنه تَفسيرٌ لما قبله لِمَ كان» [73] فلا ينبغي الفصلُ بينهما بالوقف على ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ دون علتهما؛ إذ لا تفهم العلّة إلا بذكرِ المعلولِ وهذا ارتباطٌ معنوي ولفظي فلا يفصلُ بين المعمول وعامله.

ومنه: ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾[النازعات:32، 33] فـ«مَتَاعا» مفعول لأجله، وهو علّة لما قبله ومعمول له فلا يصحّ فصله عنه، وتعلّقه به لفظًا ومعنىً.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾[عبس:31، 32] فـ " مَتَاعًا" مفعولٌ لأجله، وهو علة للفعل، أي: لتتمتعوا به أنتم وأنعامكم.

ومنه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾[الانشقاق:13، 14] جملة «إنه ظن..» تعليل لما قبلها، «وشأن «إن» إذا وردت بعد جملة أن تفيد التعليل وتغني غناء فاء التسبب»[74] فـ «هذا الذي أُوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة، ظنّ في الدنيا أن لن يرجع إلينا، ولن يُبعث بعد مماته، فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم؛ لأنه لم يكن يرجو ثوابًا، ولم يكن يخشى عقابًا»[75]

ومثله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[البروج: 12، 13] فجملة «إنه.. » تعليل لما قبلها، فبطشه شديدٌ سبحانه؛ لأنه يبدئ الخلق ويعيده كيفما شاء، أو يبدئ البطش ويعيده، فيبطش بهم في الدنيا والآخرة.

ومنه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[العلق: 6، 7] «أَنْ رَآهُ» في محل نصب مفعول له، أي: طغى لأنه رأى أنه استغنى[76].

ومنه: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾[العاديات:11] تعليل لما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿*أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العاديات: 9، 10] فهو سبحانه عالمٌ بهم حين يخرجون من قبورهم وتحصى أعمالهم القلبية الخافية؛ لأنه تعالى خبير بهم في ذلك اليوم العظيم.

المبحث الثامن: الفَصْل بين المسْتَثْنَى والمسْتَثْنَى مِنْهُ

المستثنى خارج من حكم المستثنى منه مرتبط به في اللفظ والمعنى فلا ينبغي الفَصْل بينهما بالوقف قبل مجيء المستثنى، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا *إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ فقوله تعالى: «إلا حميما» مستثنى من الشّراب الممنوع على أصحاب الجحيم، فلا ينبغي الوقف قبله.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: 38] فقوله «تعالى»: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ..﴾ مستثنى من الممنوعين من الكلام فيما قبلها فلا يفصل بينهما، أي: لا يتكلمون إلا من كان مأذونًا له فيتكلم.

ومنه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق: 24، 28] فالذين آمنوا مستثنون من المبشرين بالعذاب الأليم، فلا يفصل بين المستثنى وهم الذين آمنوا، وبين المستثنى منه في الآية التي قبلها لارتباطهما معنى وإعرابًا.

ومنه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى:6، 7] أي سنقرئك فتحفظ ولا تنسى، إلا ما شاء الله، وقيل إن المستثنى من النسيان «هو ما نسخه الله من القرآن، فرفع حكمه وتلاوته»[77].

ومنه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ [الغاشية: 22، 23] فمن تولى وكفر مستثنى من معنى الكلام السابق، وقيل «إلا» بمعنى «لكن» أي لكن من تولى وكفر يعذبه الله بكفره وتوليه.

ومثله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[الليل:19، 20] فابتغاء وجه الله بإخلاص النفقة له سبحانه، فـ«لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه»[78] وجاءت «إلا» هنا بمعنى «لكن».

ومنه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين:5، 6] فالذين آمنوا مستثنى ممن يرد إلى أسفل سافلين، فالمعنى -والله أعلم-: «رددناه أسفل سافلين في النار على كفره ثم استثنى تعالى الذين آمنوا استثناءً متصلا، فهم على هذا ليس فيهم من يرد أسفل سافلين»[79]

ومنه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [النصر: 2، 3] «أل» في الإنسان للجنس، فكل بني الإنسان خاسرون يوم

القيام، والذين آمنوا وما عطف عليه من صفاتهم مستثنون من ذلك الخسران، لالتزامهم بأمر مولاهم.

المبحث التاسع: الفَصْلُ بين الجَارِّ ومُتَعَلَّقِهِ

يرتبط حرف الجر ومجروره كما الظرف بمتعلقه من فعلٍ أو شبهه، فلا يفهم معناه وما بعده إلا بمعرفة متعلّقه، فلا يفصل بين الجار والمجرور وما تعلق به، ومنه: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فالجار والمجرور «لِيَوْمٍ» متعلقان بـ «مَبْعُوثُونَ» ولا يفصل بين الجار والمجرور ومتعلقه، أي مبعوثون «لحسابِ يومٍ»[80] والمعنى: «ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس في مكاييلهم وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ليوم عظيم شأنه: هائل أمره، فظيع هوله»[81].

ومنه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ۝٢٢﴾ [النبأ:21، 22] فالجار والمجرور «لِلطَّاغِينَ» متعلّق بـ«مِرْصَادًا»[82] أي: جهنم كانت مرصادا للطاغين[83]، ولا يفصل بينهما؛ لأن الجار والمجرور يفهم معناه بمتعلقه الذي به تمام المعنى وتوضيحه.

ومنه: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ [المطففين: 34، 35] الجار والمجرور «عَلَى الْأَرَائِكِ» متعلّقٌ بالفعل «يَضْحَكُونَ» أي يضحكون على الأرائك، فلا يوقف على المتعلَّق دون المتعلِّق؛ لأنه تمام المعنى وفيه توضيح وتفسيرٌ له، وهو في محل نصب حال -كما سيأتي-.

ومنه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: 4، 5] الجار والمجرور «بأن ربك» متعلقان بالفعل «تحدّث» في الآية التي قبلها، أي: تحدّث بأن ربك أوحى لها، ولا يفصل بين الفعل ومتعلقه؛ لأنه بيان له وتفسير، إذا لا يفهم معنى الجار إلا بما تعلق به.

الخَاتِمَة:

وفي ختام هذا البحث ظهر جليًّا شدّة ارتباط الوظيفة النحوية بدلالة الآيات وتفسيرها، وأنه لا ينبغي الوقف قبل كلامٍ له ارتباطٌ في اللفظ والمعنى أو أحدهما قبل تمام المعنى المقصود، وتمام الوقف هو في أداء المعنى، وبعض القراء يفسر القرآن في وقفاته لعلمه بمواضع الوقف والابتداء وبارتباط الكلام بعضه ببعض، والإعراب فرع المعنى ومفسر له، وأن الوقف في القرآن قد يتعدد موضعه بحسب الوظيفة النحوية، أي وجه الإعراب، فيتغير المعنى بحسب تغير الإعراب، إذ للإعراب تأثير في معنى الآيات، ولا ينبغي حمل الآية إلا على المعاني المقصودة، ورأيت من يتكلف في الوقف، فيخرج الآية عن معناها.

وكثر القسم في هذا الجزء من القرآن الكريم، وكثرت أوصاف القيامة وأهوالها والنار، والرد على الكفار وتهديدهم بالوعيد الشديد، وجُمَل هذا الجزء قصيرة مترابطة في أكثرها بالعطف أو الوصف أو البدل، ومما يمكن قوله هو تعدد الآراء في الآية الواحدة بين البدلية والصفة وغيرهما من الوجوه الإعرابية مما يحتمله المعنى، فينبغي التريث والتأني في النظر في معاني الآيات لتبين المقصود منها، وعدم حملها على وجه بعيد.

وقد عرضت بعض هذه الوقوف على أساتذة جامعيين قرأت عليهم الآية بالفصل فلم يفهموا المعنى، فلما وصلت ما ينبغي وصله اتضح لهم المعنى وتبين المقصود، فكان هذا البحث معينًا -بإذن الله- على فهم هذا الجزء من القرآن الذي تكثر قراءته في الصلوات وغيرها.

الهوامش والإحالات:

(1) ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد: 40.

(2) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أبي زيد القاضي معين الدين، أبو محمد النكزاوي بالنون والزاي. توفي سنة 683هـ، ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء: 452/1.

(3) النكزاوي، الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء: 198.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين: 88/1.

(5) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 148.

(6) نفسه: 222.

(7) أبو هلال العسكري، الصناعتين: 439.

(8) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 240/1.

(9) نفسه: 240/1.

(10) أبو داود، السنن: 593/2، الترمذي، السنن: 182/5.

(11) النحاس، القطع والائتناف: 11.

(12) الداني، المكتفى في الوقف والابتداء: 12.

(13) ينظر: ابن الجزري، النشر: 240/1.

(14) ينظر: السجاوندي، علل الوقوف: 132/1 وما بعدها.

(15) السيوطي، همع الهوامع: 580/1.

(16) النحاس، إعراب القرآن: 84/5.

(17) ابن عجيبة، البحر المديد: 247/7.

(18) الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 365/6.

(19) ينظر: الطبري، جامع البيان: 548/24.

(20) ينظر: العكبري، التبيان: 1290/2.

(21) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 520/30.

(22) أبو حيان، البحر المحيط: 536/10.

(23) ينظر: الطبري، جامع البيان: 318/24.

(24) الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء: 973/2.

(25) ينظر: المبرد، المقتضب: 337/2، والأخفش، معاني القرآن: 757/2.

(26) الطبري، جامع البيان: 340/24.

(27) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 294/2. الأخفش، معاني القرآن: 120/1.

(28) ينظر: الزمخشري، الكشاف: 692/4. أبو حيان، البحر المحيط: 412/8. الرازي، مفاتيح الغيب: 34/31. الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 330/6.

(29) النحاس، إعراب القرآن، 89/5.

(30) ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز: 430/5. الرازي، مفاتيح الغيب: 34/31.

(31) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 460/10.

(32) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: 130/5. مكي، مشكل إعراب القرآن: 815/2.

(33) ينظر: الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 384/6.

(34) النعماني، اللباب في علوم الكتاب: 291/20.

(35) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 295/30.

(36) ينظر: الفراء، معاني القرآن: 180/3. الطبري، جامع البيان: 205/23.

(37) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 404/10. النسفي، مدارك التنزيل: 603/3.

(38) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19 /223.

(39) الزجاج، معاني القرآن: 290/5.

(40) ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها: 494.

(41) ينظر: سيبويه، الكتاب: 312/2. المبرد، المقتضب: 71/2.

(42) نُسب لرؤبة بن العجاج، أبو عبيدة، مجاز القرآن: 291/2. وإلى قعنب بن أم صاحب، ابن الشجري، الأمالي: 233/2.

(43) الفراء، معاني القرآن: 249/3.

(44) المبرد، المقتضب: 79/2.

(45) الأخفش، معاني القرآن: 574/2.

(46) الزمخشري، الكشاف: 824/4.

(47) ينظر: الطبري، جامع البيان: 494/24.

(48) النحاس، القطع والائتناف: 781.

(49) الزجاج، معاني القرآن: 298/5.

(50) الطبري، جامع البيان: 278/24.

(51) الزجاج، معاني القرآن: 298/5..

(52) ينظر: ابن السراج، الأصول: 74/2. ابن النحاس، إعراب القرآن: 119/5.

(53) ينظر: الطبري، جامع البيان: 338/24.

(54) النحاس، إعراب القرآن: 103/5.

(55) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 361/5.

(56) الزمخشري، الكشاف: 775/4.

(57) السيرافي، شرح كتاب سيبويه: 19/1.

(58) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 280/5.

(59) الفراء، معاني القرآن: 233/3.

(60) عدي بن زيد، ديوانه: 84.

(61) الأخفش الأصغر، الاختيارين: 704.

(62) النعماني، اللباب في علوم الكتاب: 20/ 142.

(63) ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب: 169/1.

(64) العكبري، التبيان: 1267/2.

(65) القيسي، مشكل إعراب القرآن: 795/2. العكبري، التبيان: 1267/2.

(66) العكبري، التبيان: 1270/2.

(67) الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 335/6.

(68) الزمخشري، الكشاف: 724/4.

(69) الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 399/6.

(70) ينظر: العكبري، التبيان: 1303/2. الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد. 461/6.

(71) الزجاج، معاني القرآن: 362/5.

(72) الفراء، معاني القرآن: 235/3. ابن جني، المحتسب: 352/2. النحاس، إعراب القرآن: 94/5.

(73) سيبويه، الكتاب: 184/1.

(74) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 206/30.

(75) الطبري، جامع البيان: 316/24.

(76) ينظر: العكبري، التبيان: 1295/2. الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 429/6.

(77) الطبري، جامع البيان: 371/24.

(78) الفراء، معاني القرآن: 272/3.

(79) ابن عطية، المحرر الوجيز: 500/5.

(80) أبو حيان، البحر المحيط: 427/10.

(81) الطبري، جامع البيان: 278/24.

(82) العكبري، التبيان: 1267/2.

(83) الزمخشري، الكشاف: 688/4.

قائمة المصادروالمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1) الأخفش الأصغر، علي بن سليمان بن الفضل، الاختيارين - المفضليات والأصمعيات، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1999م.
2) الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البلخي، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990م.
3) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، السنن، تحقيق: حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1988م.
4) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
5) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني القاهرة، دار المدني، جدة، ط3، 1992م.
6) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م.
7) ابن جني، عثمان بن جني الموصلي، المحتسب، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1999م.
8) ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، 1989م.
9) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
10) ابن خالويه، محمد بن أحمد بن نصر، إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: أبي محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006م.
11) الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان، المكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط1، 2001م.
12) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، السنن، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط1، 2001م.
13) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
14) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م.

15) الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
16) السجاوندي، أبو عبد الله محمد بن طيفور، علل الوقوف، تحقيق: محمد بن عبد الله العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، 2006م.
17) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
18) السيرافي، السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
19) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.
20) ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة، الأمالي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984م.
21) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط1، 2001م.
22) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1380هـ.
23) ابن العجاج، رؤبة بن العجاج أبو الجحاف التميمي، ديوانه، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، 1995م.
24) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.
25) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.
26) ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
27) العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.
28) الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، د.ت.
29) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.

30) القيسي، مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، المحقق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ.

31) المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

32) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

33) النحاس، القطع والائتناف، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992م.

34) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل، تحقيق: يوسف علي بديوي، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م.

35) النعماني، سراج الدين عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

36) النكزاوي، عبد الله بن محمد، الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء، تحقيق: مسعود أحمد إلياس، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1413.

37) الهمذاني، المنتجب بن أبي العز بن رشيد، الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1، 2006م.